سؤالٌ وجوابٌ حولَ

فِقْهِ الوَاقِعِ

للعلّامة المحدِّث الشيخ

محمد ناصر الدين الألباني

المتوفى سنة (١٤٢٠هـ) - رحمه الله

قام على نشرها

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلبيُّ الأثريُّ

المكتبة الإسلامية

عمان - الأردن

الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ

المكتبة الإسلامية

ص ب : ١١٣ - الجبيهة - هاتف ٥٣٤٢٨٨٧

عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الحمدُ لله حقَّ حمده ، والصلاة والسلام على نبيِّه وعبده ، وعلى آله وصحبه ووفده .

أما بعد :

فهذه الرسالةُ النافعةُ - إن شاء الله - إحدى رسالتين علميّتين لشيخنا العلامة الإمام أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني - تغمّده الله برحمته - ، قمتُ على تهيئتهما ، وإعدادهما ، ونشرِهما في حياتهِ - رحمة الله عليه - وأمامَ عينهِ . . .

وقد نفع اللهُ - تعالى - بهما - وله الحمدُ كلُّه - كثيراً ، وكثيراً جداً . . .

أَمَّا الرسالةُ الأُولى ؛ فهي : «حكم تارك الصلاة» ؛ فقد أعدنا نشرَها - قريباً - ، بمقدّمةٍ جديدة ، وإضافات عديدة ، وتعليقاتٍ - فيما نرجو - مفيدة . . .

أما هذه الرسالةُ - الثانية - : «سؤال وجواب حول فقه الواقع» ؛ فليس عندي مِن جديدٍ أُضيفهُ إليها ، أو أُعلّق به عليها . . .

ولم تزِدْنا الأيّامُ ـ ولله الحمدُ ـ إلا ثباتاً على منهجها ، واستمراراً لواضحِ طريقتِها . . .

وما أحوالُ دُعاة (فقه الواقع) ـ أولئك ـ اليوم عنّا ببعيدةٍ !!

وما ثمراتُ (فقه واقعهم) ـ في حال الأُمةِ ـ عن كلِّ منصِفٍ بخفيّةٍ !!

والحمدُ لله على نَعْمائهِ ، والشكرُ له على مَزيدِ عطائهِ .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمين[1] .

وكتب

أبو الحارث الحلبيُّ الأثريُّ

ـ عفا الله عنه ـ

الزرقاء الأُردنيّة ، في :

٥/ذي القعدة/١٤٢١هـ

٢٠٠١/١/٢٩م

(١) أمّا رسالتي «فقه الواقع بين النظرية والتطبيق» ؛ فقد طبعتُها قريباً ـ الطبعة الثالثةَ ـ ، وليس فيها ـ أيضاً ـ كثير إضافة ، ولا كبيرُ تعديل . .

والموفّق هو الله العليُّ الجليل . . .

تقـديم[1]

إنَّ الحمد لله ، نحمدُه ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيِّئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومَن يُضلل فلا هادي له .

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله .

أمّا بعد :

فإنّ من أهمّ قواعد العلم والعمل والتربية قولَ ربِّنا سبحانه : ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء/٣٦] ؛ إذ الآية تُبيِّنُ أصلَ الموقف الشرعي الصحيح للمسلم فيما يسمع ، أو يُبصر ، أو يعتقد ، وأنّ ذلك كلَّه ـ بنتائجه ـ قائمٌ على العلم ، دون ما سواه . . .

ومعنى الآية : «لا تتَّبع ما لا علم لك به ، فلا يكن منك اتّباعٌ ـ بالقول ، أو بالفعل ، أو بالقلب ـ لما لا تعلم ، فنهانا عن أن نعتقد

(١) بقلم : عليّ بن حسن .

إلا عن علم ، أو أن نفعل إلا عن علم ، أو أن نقول إلا عن علم .

فما كُلُّ ما نسمعُه ، وما كُلُّ ما نراه نطوي عليه عَقد قلوبنا ، بل علينا أن ننظر فيه ، ونُفكِّر ، فإذا عَرَفْناهُ عن بيِّنة اعتقدناهُ ، وإلا تركناهُ حيث هو ؛ في دائرة الشكوك والأوهام ، أو الظُّنون التي لا تُعتبر»[1] .

وخلاصةُ مراد الآية الكريمة : الوَصاةُ بأن : «لا تَقُل للنَّاس وفيهم ما لا علم لك به ، فتَرميَهم بالباطل ، وتشهدَ عليهم بغير الحق»[2] .

وما أجملَ قولَ الإمام القدوة بكر بن عبدالله المُزَنيِّ رحمه الله : «إيَّاكَ من الكلام ما إنْ أصبتَ فيه لم تُؤجَرْ ، وإنْ أخطأت تُؤزَر ؛ وذلك سوءُ الظنِّ بأخيك»[3] .

أقولُ :

ما أحرى المسلمين اليوم ـ وهم يُهيِّئون أنفسهم لأمر عظيم ـ أن

(١) «أصول الهداية» (ص٩٧) لابن باديس - بتعليقي .

(٢) «تفسير الطبري» (٨٧/١٥) .

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢١٠/٧) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٢٦/٢) .

يتـأمَّلوا هذه المعـاني الشـريفـة ، وأن يُعـمِلوا في عـقولـهم وقلوبهم أحكامَها أمراً ونهياً ، عِلماً وعَمَلاً ، لا أن تكون مجرد كلماتٍ يتغنَّون بها ، وألفاظ يكرِّرونها ؛ دونما تطبيقٍ واعٍ ، ومن غير تنفيذٍ لحقوقها وواجباتها !

وتطبيقاً لهذه القاعدة القرآنية الهامّة ، و«فقهاً للواقع» الذي يعيشه المسلمون بعامَّةٍ ، و(الدُّعاة) بخاصَّةٍ ؛ لا بُدَّ مِن ذِكْر صورٍ (واقعية) عشناها وعايشناها ، تُبيِّنُ مدى التناقُض السحيق بين أمر القرآن وتنفيذ الإنسان ، حتى نجتنبَها في نفوسنا ، ونُحذِّرَ منها إخواننا وأصحابَ الحقوق علينا ؛ فإنَّ مما (يتناسبُ) مع هذه الرسالة وموضوعها ذِكرَ أمثلةٍ من هذا (الواقع) المرير ؛ مع أنها أكثر مِن أن تُحصى ، وأوسعُ مِن أن تُحصَرَ ؛ فأقول :

كثيراً ما نسمعُ من (الدُّعاة) أو (الشباب) مَن يقولُ ويُرَدِّدُ : . . . العلمُ . . . حُسنُ الظنِّ . . . التأنِّي . . . الأُخُوَّة . . . الخضوع للحقّ . . . البُعد عن التعصُّب . . . الولاء للمؤمنين . . . استماع النصيحة . . . قَبول الدليل . . .

. . . ولكنْ . . . وعند أوَّل امتحان (فعليٍّ عمليٍّ) تُعرَفُ به

ـ حقّاً ـ تلكُمُ الأقوالُ ، وتُقاسُ به ـ صدقاً ـ هاتيكَ الدعاوى ؛ تَرى انقلاب المفاهيم . . . وتَغَيُّرَ الموازين

فالعلمُ ينقلبُ جهلاً . . .

وحُسن الظنِّ ينقلب تهمةً . . .

والتأنِّي ينقلب تهوُّراً . . .

والأُخوَّةُ تنقلب ضِدّاً . . .

والخُضوع للحقِّ ينقلب رفضاً . . .

والبُعدُ عن التعصُّب ينقلب غُلْواءَ . . .

والولاءُ للمؤمنين ينقلب عِداءً . . .

واستماعُ النصيحة ينقلبُ إباءً . . .

وقَبولُ الدليل ينقلبُ تقليداً . . .

. . . كيف ذلك ! وقد ملأُوا الدُّنيا وشغَلوا النّاسَ !!

. . . كيف ذلك ! وهم يدَّعون الحرصَ والامتثال ، واللِّينَ في الأقوال والأعمال !!

. . . سبحان الله ! كُلٌّ ذلك يكون . . . من غير حُجَّةٍ تُذكَر . . . ومن غير دليل يُبَيَّنُ أو يُشهَر . . .

والنَّاظرُ في (واقع) المسلمين اليوم ـ بل منذ ألف يوم ـ يرى أنّ (الكثيرين) منهم بعيدون البُعد كُلَّه عن ادِّعاءاتهم ، ومنحرفون الانحراف جميعَه عن مزاعمهم !

فنرى شابّاً ـ مثلاً ـ أو شباباً يناقشهم[1] (طالبُ علم) في مسألةٍ (فكرية) أو (دعوية) . . . فإذا وافقَ ذلك النقاش ما (لُقِّنوه) . . . وطابق ما (عايشوه) . . . وجاء مُلبِّياً لرغبات ما (أَلِفوه) واعتادوه : كان عندهم (مناقِشُهم) الأخَ المقدَّم الخالصَ صادقَ الوُدِّ . . .

وإنْ خالف قولُك مضمونَ فكرهم ، أو نواحي من رأيهم . . . قذفوك بزَبَدٍ من القول السُّوء . . . ورمَوْك عن قوسٍ واحدةٍ بتُهَم بها العُصبةُ أولو القُوَّة تَنوء !! بل تراهم يتناقلونَها ـ من غير ثَبتٍ ـ بكُلِّ هدوء !!!

ومثالٌ آخر (واقعيٌّ) أيضاً :

(١) سواءً بالكتابة أم المُشافهة !

أنَّ من يُوضعُ ـ من (الدُّعـاةِ) أو غيـرهم ـ في بعض الأذهان على أنَّه قُدوةٌ ، وأسوةٌ ، ومَثَلٌ يُحتذى به ، ويؤخذُ قوله ؛ يصبح في عقول ذوي الحماسة ، ويُضحي في نفوس ذوي العواطف الجارفة ؛ علامَةً بنفسه على الحق . . . ودليلاً بمحضِ كلامه على الصواب . . .

وهذا انحرافٌ عظيمٌ بلا ارتياب . . .

يقولون ـ بلسان قالهم أو حالهم ـ : نحنُ (نُقَدِّرُ) (الدُّعاة) . . . (وأُولئك المقتدى بهم) !! فلا تقربوهم . . . وإياكم من الردِّ عليهم أو نقدهم !!

وهذا عجبٌ . . . فهل ثمة بشرٌ فوق النقد والرد ، خلا الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

ولو أبدل (بعض) من هؤلاء ـ لمرارة واقعهم ـ راء (تقديرهم) المزعوم (سيناً) ؛ لكان هو الوصف الحري بهم ، والموافق لحالهم . . .

إذ مجرد الرد على واحد منهم . . . ولو بكلام لطيف . . . غير عنيف . . . هو ـ عند هؤلاء ـ جُرمٌ مشهود . . . وفعلٌ باطلٌ غير معهود !

وأدنى إشارة . . . ولو برقيق العبارة . . . يعدونها من التعدي الصريح . . . والتصرف القبيح . . .

ويُصاحب هذه الأفعال الفاسدة . . . النابعة من العصبيات الكاسدة : موجاتٌ تلو موجاتٍ من **اتهام البُرَءاء ، والتحذير من الأصفياء ، بل ومقاطعة الأنقياء الأتقياء !!**

أقول :

هذه شريحةٌ لجانبٍ من (الواقع) القاتم الذي يَعيشُهُ ـ دون شعورٍ ـ عددٌ من الشباب البريء ، العاطفيِّ ، المُحبِّ لدين الله سبحانه وتعالى . . . يجب أن يعرفوها بأضدادها . . . ويفهموها بحقائقها ؛ لتهذيب نفوسهم ، وإصلاح فعالهم ، حتى يكون ارتباطهم بالحق وللحق !

وما نشأت تلك السَّوالبُ فيهم (وترعرعت) إلا بسبب قلةِ العلم ، والنظرِ في اتجاهٍ واحدٍ !!

لقد جهل هؤلاء الإخوةُ الأحبابُ الأوفياء ـ أو تجاهلوا ـ أن الرَّدَّ لا يلزمُ منه التنقيص والازدراء . . . ولا يرافقه المقتُ أو شديد اللأواءِ والبلاء . . . لا من الراد أثناء ردِّه ، ولا **(فيه) نتيجة رده !!**

ثـم مـن نـاظـرَ أو جـادلَ أو رام كشـفاً لقـذىً لـم ينـجلِ
قـدحـوا في دينـهِ واتـخذوا عِرْضَهُ مرمى سهامِ المُنصِلِ[(١)]

وبيـان حـقـيـقـة هذا المنهج العلمي المتين في الردِّ وقبـوله ، والاستجابة إليه ؛ قائمٌ على أصلين :

الأول : أنّ الواجب على المُسلم أن يكون عنده «الاستـعـداد الدائمُ لتجاوز الأخطاءِ ، وتصحيحها . . . وهذا لا يَتمُّ إلا في جَوٍّ من الفرحِ والغبطةِ **بالنقدِ الصحيح** ، وترك أُسلوب التزكيةِ المُطْلَقَة للأقوالِ والأعمال **والأشخاص والجماعات** ، والسعي الدائم لتعديل المناهج والمسالك ؛ على وفق الحق الذي تقتضيه شريعة الله ، ويدُلُّ عليه النصُّ من القُرآن والسُّنة»[(٢)] .

الثَّاني : «الأمرُ والنهي ضرورةٌ بشريةٌ ، فكلُّ إنسانٍ على وجهِ الأرضِ لا بُدَّ له من أمرٍ ونهي ، ولا بُدَّ أن يُؤمرَ ويُنهى ؛ حتى لو أنه وَحدهُ ؛ لكان يأمرُ نفسَهُ وينهاها : إمّا بمعروفٍ ، وإمّا بمُنكرٍ»[(٣)] .

(١) «البدرُ الطالع» (١٣٦/١) للشوكاني . والمنصِل : اسم فاعل من (أنصل السهم) ؛ أي : جعل فيه نَصْلاً .

(٢) «من وسائل دفع الغُربة» (ص٦٦ - ٦٧) للأخ سلمان العودة .

(٣) المرجع السابق (ص٧٥) .

فلا أحد يعلو عن النقد . . . ولا أحد يستعلي على الحق . . .

وهذا هو المنهج الإيماني الحقُّ ، الذي يجبُ أن يكون ساري النُّور بين الإخوة الأوفياء ، وظاهر الضياءِ في عقولهم وقلوبهم ؛ «أما المنافقون ؛ فهم مجتمعون لا على شيءٍ موحَّدٍ ، ولا على منهج واضح ، بل على التَّخبطِ والتقليد الأعمى ، **والاتباع للأشخاص** ، بحيث تذوب شخصيّات بعضهم في بعض وتنمحي ؛ فلا تآمر بينهم بمعروف ، ولا تناهي بينهم عن منكر ، ولا تناصُح في الله»[1] .

وهذا كُلُّهُ ؛ دِقُّهُ وجِلُّهُ : مّما لا نرضاهُ من قريبٍ أو من بعيدٍ ، لأخٍ ـ أو إخوةٍ ـ تجمعنا وإيَّاهم دائرةُ عمومِ الإسلام ، فضلاً عن حلقةِ خصوص **عقيدة أهل السنة والجماعة . . .**

ثمَّ لو نظرنا إلى أنفسنا ـ أو إخواننا ـ بين رادٍّ ومردودٍ عليه ؛ نرى أن كُلَّ رادٍّ منهم هنا فهو مردود عليه هناك ، وأنَّ المردود عليه هُناك ـ هو نفسه ـ رادٌّ على غيره هنا !!

فلماذا (يُعاملُ) هذا بما لا يُعاملُ به (ذاك)؟!

ولماذا (يُتعاملُ) مع هذا هكذا ، ولا (يُتعاملُ) بمثله مع (ذاك)؟!

---

(١) المرجع السابق (ص٧٨) .

أم أنَّ (الفرق) ناتجٌ عن «**الحزبية الضيقة التي فرقت المسلمين شيعاً**»[1]؟! ولو كانت حزبيَّة نَفسيَّةً !

أحرامٌ على بلابله الدَّوْحُ   حلالٌ للطيرِ من كُلِّ جنسِ !

وأمرُ الردِّ والنقدِ طبيعي جدّاً عند كُلِّ مُنصفٍ يعرفُ (الحق) **بجلاله . . . لا برجاله** . . . إذ هو تطبيقٌ عمليٌّ لتلكَ القاعدةِ المُشرقة المنيرةِ التي نرددها . . . ويرددونها : «ليسَ أحدٌ بعد النبي ﷺ ؛ إلا ويؤخذُ من قوله ويُترك ؛ إلا النبي ﷺ »[2] .

وأمّا ما توهمه ـ أو أوهمه ـ (البعضُ) من أنَّ في هذا الرد أو ذاك النقد قدحاً وغيبة[3] ! فقد تكفَّل بِنقْضِ هذه الشبهة وكَشْفِ وهائِها شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ في «الفتاوى» (٢٨/٢٣٦) ـ ، يرحمه الله ، حيث قال في معرض مناقشته لمشروعية الرد والنقد :

«وليس هذا البابُ مخالفاً لقوله [ﷺ] :

---

(١) «لحوم العُلماء مسمومة» (ص٢٣) للأخ ناصر العُمر .

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩١) لابن عبدالبر .

(٣) و(بعضهم) يقول : «قد سلم العِلمانيُّون ! ولم يسلم المؤمنون» !! . . . وهو كلامٌ فارغُ المضمون !!! إذ يكفينا لنقضِ الفكر العِلماني فضائحُ الدِّيمقراطية المُعاصرة !! فلا أطيلُ !

«الغيبةُ ذكركَ أخاك بما يكره» ؛ فإنَّ الأخ هو المُؤمن ، والأخُ المُؤمن إن كان صادقاً في إيمانه ؛ لم يكره ما قُلته من هذا الحقِّ الذي يُحبُّهُ الله ورسوله ـ وإن كان فيه شهادةٌ عليه وعلى ذويه ـ ، بل عليه أن يقوم بالقسط ، ويكون شاهداً لله ولو على نفسه أو والديه أو أقربيه ، ومتى كره هذا الحقَّ كان ناقصاً في إيمانه ، ينقصُ من أُخوَّته بقدر ما نقص من إيمانه ، فلم يعتبر كراهتهُ من الجهة التي نقص منها إيمانهُ ؛ إذ كراهتُهُ لما لا يُحبُّهُ الله ورسولهُ توجبُ تقديم محبة الله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿والله ورسوله أحقُ أن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة/٦٢]» .

وهذه الرسالة ـ أخي القارئُ الحبيب ـ تأتي هذه الأيام لتعريف الناس بحقائق غائبةٍ عنهم ، انشغلوا بسواها عنها ، وانصرفوا بغيرها إلى ما هو أدون منها !!

ويتضحُ ذلك بجلاءٍ في ثلاثة أصول مهمة :

الأول : معرفة حقيقة «فقه الواقع» ، ومدى الحاجة إليه في (واقعنا) المعاصر ، سلباً وإيجاباً ، وكيف يُتعامل معه؟ وكيف نستفيد منه؟

والثاني : بيانٌ للمنهج الواجب اتِّباعهُ من العلماء ، والشباب ، و(الدُّعاة) ؛ ألا وهو **منهج التصفية والتربية** ، المبنيُّ **على العلم** بالكتاب والسنة وعلى **منهج سلف الأمة** ، **والعمل بالأحكام** المترتبة على ذلك ، والقائم على التأني وعدم التعجل ، والمؤسَّس على صدق الأخوة ، **والبعد عن الحزبية المقيتة والعصبية القاتلة !**

الثالث : أهمية الردِّ والنقد ، وبيانُ أنه أمرٌ سائغٌ بل مطلوبٌ ، ولكن بالتي هي أحسنُ للتي هي أقوم !! إذ «الواجب على أيِّ مُسلم رأى أمراً أخطأ فيه أحدُ العلماء أو (الدعاة) : أن يقوم بتذكيره ونصحه»[1] ، دونما نكيرٍ على الراد كائناً من كان !! فيؤخذ منه (الحق) ، ويترك ما خالفه ، إذ الحقُّ يُعرفُ (بدلائله) لا بمجرد قائله ! ولا يكون ذلك إلا «بالتجرد لله ـ جلَّ وعلا ـ ، والسلامة من الهوى ، والتحري في المنهج»[2] .

وأمّا عكسُ ذلك ؛ فهو «**عادة ضعفاء العقول ؛ يعرفون الحق بالرجال ، لا الرجال بالحق**»[3] .

---

(١) من كلام شيخنا في هذه الرسالة (ص٤٩) .

(٢) «امتحان القلوب» (ص٥٠) للأخ ناصر العمر .

(٣) «لحوم العلماء مسمومة» (٢٤) – له – .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية القائل[1] :

«المؤمنُ للمؤمن كاليدين ، تغسلُ إحداهُما الأخرى ؛ وقد لا ينقلعُ الوسخُ إلا بنوع من الخشونة ؛ لكن ذلك يوجب ـ من النّظافةِ والنُّعومةِ ـ ما نحمد معه ذلك التخشين» .

ولا بُدَّ لي من كلمةٍ يقتضيها هذا المقامُ ؛ لصلتها بمسألةٍ (واقعية) من مسائلِ الدَّعوة إلى الله ، فأقول :

قد كتبتُ في الشهور الأخيرة رسالتين[2] في فقه الدعوة[3] ـ أحسبهما ـ مُهمتين غايةً ـ وهما لا تخرجان في إطارهما العام عما سيأتي من كلام شيخنا ـ :

إحداهما : في تأصيل «فقه الواقع» ، وبيان مهماتٍ مُتعلقةٍ به .

والثانية : في مقارنة بعض «المناهج الدَّعوية» المُعاصرة بمنهج

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٥٣) .

(٢) وبعد كتابة هذه المُقدِّمة بنحو شهرين ، وفي أثناء حجٍّ عام (١٤١٢هـ) ؛ سمعتُ عدداً من الشباب يذكر أني (تراجعت) عن رسالتيَّ هاتين !!

وهذا عجب عُجاب ، ليسَ له في الحقيقة نصاب !!

(٣) وهما رسالتانِ عامَّتانِ ليستا مُوجَّهتين لفئةٍ بذاتها ، أو أشخاصٍ لخصوصهم ؛ ومن توهَّم غير ذلك فقد جانبَ الصواب !

السَّلف ، وبأصالته ، وعمق مفاهيمه .

ولقد شرَّق (البعضُ) وغرَّب . . . وأبعد (ظنونه) وقرَّب . . . مُدَّعين دعاوى بعيدة . . . لا رشيدة ولا سَديدة !!

ولستُ أُريد الدِّفاع عن نفسي ، أو الذب عما كتبتُ ، أو إيرادَ المواقف الإيجابية من رسالتيَّ ؛ ولكنِّي أكتفي (هُنا) أن أقول :

تالله . . . ما كتبت الذي كتبتُهُ ـ مما أشكَلَ على البعض (واستعظموه) ـ إلا تنبيهاً وتحذيراً :

تنبيهاً لأحبةٍ في الله أخشى عليهم من تكرُّر أغلاطٍ عظامٍ جُرَّ إليها (الآخرون) ، وأُوقع فيها (السابقون) ، وأُغرق بها (الماضون) . . . وحصل معهم ـ جميعاً ـ ما (الكُلُّ) به عارفون . . . و«السعيد من وُعِظَ بغيره»[1] أيها المُؤمنون !!

وتحذيراً من (استدراجٍ ماكرٍ) ـ لا يُخرَجُ منه بِمُجرَّد رسالةٍ شخصيَّةٍ ، أو نصيحة ذاتيةٍ ، أو مُكالمةٍ هاتفيةٍ ـ ؛ نُساق إليه دون أن نشعر ، لنذوق مرارته وقساوته من غير أن ندري . . .

(١) رواه مسلم (٢٦٤٥) عن ابن مسعود ، من قوله .

فليكن هذا عُذراً لي فيما ظُـنَّ أنه خُشونةٌ أو شـدَّةٌ ؛ فالأمر عظيمٌ . . . والخطرُ جسيمٌ !!

. . . فإن لم أجد من يعذرني ـ ولا بُدَّ أَنِّي إن شاءَ اللهُ واجدٌ ـ فرَبِّي يعلمُ ما في نفسي ، ومُطَّلعٌ بما في خبيئة فؤادي . . .

﴿أوَ ليسَ الله بأعلمَ بما في صُدور العالمين﴾ [العنكبوت/١٠] .

وإنِّي أُكرِّرُ هنا ما كتبتُهُ في مقام آخرَ[١] . . . أُكرِّرُهُ ليُفهم بوعي عميق . . . **لا ليُمرَّرَ دون تأمُّلٍ وتطبيق :**

«ومن نافلة القـولِ أن أؤكـدَ ـ هنا ـ أنَّ جـمـيع من تكلمنا عليـهم ، أو أشـرنا إليـهم . . . هُم إخواننا . . . وأحبـابُنا . . . فلهم حقٌّ علينا ، ولنا حقٌّ عليـهم . . . **فـلا تضـيق صـدور . . . ولا تطيشُ ظُنونٌ . . .**

. . . والقلبُ مـفتـوحٌ للنُّصحِ . . . والأذن تنتظرُ الإرشـاد . . . واللهُ المُوفقُ للسَّداد» .

فإن أبى (**البعضُ**) إلا الكلام . . . وأصرَّ على قذفِ (**السِّهام**) ؛

(١) «رؤية واقعية في المناهج الدعوية» (ص٩٨) .

فإني أُعزِّي نفسي ومن هو (مثلي) بقول من قال في قديم الزَّمان :

اعمل لنفسك صالحاً لا تَحْتَفِلْ

بـظهور قِيـلٍ فـي الأنـــامَ وَقَالِ

فالخَلْقُ لا يُرجى اجتماعُ قُلوبِهِم

لا بُـدَّ مـن مُـثنٍ علـيك وقَـالِي

وأما أولئك المُتربصـون . . . الذين يتصيـدون في الماء العكر ؛ بوضع الحقِّ في غير نصابه ، واستغلاله في غير بابه ـ كالعلمانيين وأذناب السَّاسـة الماكـرين ـ ؛ فهم أقلُّ من أن يُحتفى بهم أو يشار إليهم !! لدنيء مقاصدهم ، وخبيث مآربهم !!

فـلا يجـعلنا مكرهم ودهاؤهم نُعـرضُ عن قـاعـدة التـواصي بالحقِّ والتـواصي بالصبر ، ضمـن دائرة الأُخوة الصادقة والعـقيـدة الصافية ، ولو صاحبها أحياناً ـ لِمُقْتَضٍ مهم ـ نوع حدَّة أو شدَّة ! لكنها بين إخوةِ العقيدةِ «حدةُ الودود . . . وشدةُ الحبيب»[1] .

فنحنُ ـ ولله الحمـد ـ في تطبيـقنا لقـاعـدة النقـدِ الصريح «لا

(١) «رؤية واقعية» (ص٢٨) .

نتعصب لأحدٍ دون الآخر ؛ لأننا نعتقد أن الجميع إخواننا ، ونحنُ نُحبهم في الله بقدر علمهم وإخلاصهم لهذا الدين وفقههم ؛ **وعندما نَنْقُدُ مسلكاً لبعضهم فلا يعني هذا أننا نتعصب ضده ، أو نؤثر عليه غيره ، أو نكرهه . . . معاذ الله** ؛ بل نفعل ذلك لأنَّ هذا هو حق الأخ علينا ، إذا رأيناهُ في حاجة إلى النُّصح والتسديد ، ولولا أننا نحبُّ له الخير والصواب والفلاح لما نصحناهُ ، والله عز وجل يشهدُ ، وهو وحده العليم بما في الصدور»[1] ، «**والخلاف في الرَّأيِ لا يجوز أن يكون مصدر لجاجة أو غضب**»[2] .

ووالله ؛ إنَّ أقلَّ واحدٍ من إخواننا (الدُّعاةِ) أو طلاب العلم ، فضلاً عن مشايخنا من العلماء ـ على ما قد يقع بينهم من اختلاف أو خلافٍ ـ لهوَ أغلى عندنا من دُنيا أُولئك المتهوكين وما فيها !!

﴿فأما الزَّبدُ فيذهبُ جُفاءً وأمَّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض﴾ [الرعد/١٧] .

---

(١) «دعوةً إلى التفكير المنهجي» (ص٩) للرُّحيلي .

(٢) «أدب الخلاف» (ص٧) للشيخ صالح بن حميد .

. . . فإلى رسالةِ شيخنا ؛ لِنَنْـهلَ من واسع علمِـهِ ، ونَستَـفيـدَ من عُمقِ تجربته ، وننتفع بثاقب نظره .

والله المستعان

وكتبه :

أبو الحارث الحلبيُّ الأَثريُّ

يوم الاثنين ١/ذي القعدة/١٤١٢هـ

سؤال وجواب حول

فقه الواقع

مُقَدِّمَةُ المُؤلِّف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد :

فهذه رسالةٌ ضمّنتها جواباً على سؤال ورد إليّ حول ما يُسمَّى بـ «**فقه الواقع**» وحُكمه ، ومدى حاجة المسلمين إليه ، مع بيان صورته الشرعية الصحيحة .

وأصلُ هذه الرسالة جوابٌ مرتجلٌ في مجلس من المجالس العلمية التي يجتمع فيها ـ ولله الحمد ـ عددٌ من الشباب المسلم الحريص على طلب العلم الصحيح ؛ المستقى من الكتاب والسنة ، وعلى **منهج السلف الصالح** ؛ صفوة الأمة .

ثمّ قام أحدُ الإخوة ـ جزاه الله خيراً ـ بنسخ كلامي الوارد في شريط التسجيل ، وعرَضه عليَّ ؛ فعدّلْتُه ، وزدتُ عليه ، ونقّحتُه ، بما يتناسب مع نشره ، لتعمَّ به الفائدة ، ويزداد به النفع ـ إن شاء الله ـ .

وقد قام أخونا الفاضل علي بن حسن ـ وفّقه الله لمراضيه ـ بتهيئة هذه الرسالة للنشر ، وإعدادها للطبع[1] ، ثم نسَخها ـ بعدُ ـ بيده ، وضبط نصَّها وقدّم لها ؛ فجزاه الله خيراً .

فالله َ أسألُ أن ينفعَ بهذه الرسالة المختصرة قارئيها ، وأن يفيد بها طالبيها ، إنه سميع مجيب .

وكتب

محمد ناصرالدين الألباني

عمّان

٢٩ شوال ١٤١٢هـ

(١) وبعد تنضيد الرسالة - بمُقدِّمتها - وتصحيحها ؛ عرضتها على شيخنا ؛ فوافق عليها ، وأقرها مشكوراً ، فجزاه الله خيراً . (علي) .

فقهُ الواقع

إنَّ الحمد لله ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومَن يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .

أمّا بعد :

فإنّ رسول الله محمداً ﷺ يقول : «يوشك الأُمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأَكَلة إلى قَصْعَتِها» .

فقال قائلٌ : ومِن قلةٍ نحنُ يومئذٍ؟

قال : «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنّكم غُثاءٌ كغثاء السيل ؛ ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ من صدور عدوّكم المهابة منكم ، ولَيَقْذِفَنَّ الله في قلوبكم الوَهَن» .

فقال قائلٌ : يا رسول الله ! وما الوَهَنُ؟

قال : «حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت»[1] .

---

(١) حديثٌ صحيحٌ ، تراه مخرجاً في «الصحيحة» (٩٥٨) .

* واقع المسلمين :

قد تجلّى هذا الحديثُ النبويُّ الشريف - بأقوى مظاهره وأجلى صوره - في الفتنة العظيمة التي ضربت المسلمين ؛ ففرَّقتْ كلمتهم ، وأوهنَت عزمهم ، وشتّتَت (صُفوفهم) .

ولقد أصاب طَرَفٌ من هذه الفتنة القاسية جَذْرَ قلوب عددٍ كبيرٍ من **الدعاة وطلبة العلم** ؛ فانقسموا ـ وللأسف الشديد ـ على أنفسهم ، فصار بعضهم (يتكلّم) في بعضٍ ، والبعضُ (الآخرُ) ينقُدُ الباقين ، ويردّ عليهم . . . وهكذا . . .

* معرفةُ الحقِّ بالردِّ :

وليست تلك الرّدود (مجرّدةً) ، أو هاتيك النّقدات (وحدها) ؛ بضائرةٍ أحداً من هؤلاء أو أولئك ، سواءٌ منهم الرّادُّ وَالمردود عليه ؛ **لأنَّ الحقّ يُعرف بنوره ودلائله ، لا بحاكيه وقائله ـ عند أهل الإنصاف ، وليس عند ذوي التعصُّب والاعتساف ـ** ؛ وإنّما الذي يَضير أولئك أو هؤلاء : هو الكلام بغير علم ، وإلقاء القول على عواهنه ، والتكلُّم بغير حقّ على عباد الله !!

* مسألةُ «فقه الواقع» :

ولقد أُثيرت - أثناء تلك الفتنة العمياء الصمّاء البكماء - مسائلُ شتّى ؛ فقهيةٌ ، ومنهجيةٌ ، ودعويةٌ ، وكان لنا ـ حينها ـ أجوبةٌ علميةٌ عليها ؛ بحمد الله سبحانه ومنّته .

ومِن المسائل التي أعقبت تلك الفتنة ، وكَثُر الخوض فيها : ما اصطلح (البعضُ) على تسميته بـ «فقه الواقع» !!

وأنا لا أُخالف في صورة هذا العلم الذي ابتدعوا له هذا الاسم ، ألا وهو «فقه الواقع» ؛ لأنّ كثيراً من العلماء قد نصّوا على أنه ينبغي على مَن يتولّون توجيه الأمة ؛ ووضعَ الأجوبة لحلّ مشكلاتهم : أن يكونوا عالمينَ وعارفينَ بواقعهم ؛ لذلك كان مِن مشهور كلماتهم : «**الحُكمُ على الشيء فَرعٌ عن تصوُّره**» ، ولا يتحقّق ذلك إلا بمعرفة (الواقع) المُحيط بالمسألة المراد بحثُها ، وهذا مِن قواعد الفُتيا بخاصةٍ ، وأُصول العلم بعامّةٍ .

ففقهُ الواقع ـ إذاً ـ هو الوقوف على ما يهُمُّ المسلمين مما يتعلّق بشؤونهم ، أو كيد أعدائهم ؛ لتحذيرهم والنُّهوض بهم : **واقعيّاً ، لا**

كلاماً نظرياً[1] ، أو انشغالاً بأخبار الكُفّار وأنبائهم . . . أو إغراقاً بتحليلاتهم وأفكارهم !!

*** أهميّةُ معرفة الواقع :**

فمعرفة الواقع للوصول به إلى حكم الشرع واجبٌ مهمٌّ من الواجبات التي يجب أن يقوم بها طائفةٌ مختصّةٌ من طلاب العلم المسلمين النُّبهاء ، كأيِّ علمٍ من العلوم الشرعية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو العسكرية ، أو أيّ علمٍ ينفع الأمة الإسلامية ويُدنيها من مدارج العودة إلى عزّها ومجدها وسُؤددِها ، وبخاصةٍ إذا ما تطوّرت هذه العلوم بتطوُّر الأزمنة والأمكنة .

*** من أنواع «الفقه» الواجبة :**

ومما يجب التنبيهُ عليه في هذا المقام : أنّ أنواع الفقه المطلوبة من جملة المسلمين ليست فقط ذلك الفقهَ المذهبي الذي يعرفونه

---

(١) أما الكلام (النظريُّ) الذي ليس له من (يتبناهُ) عملاً ، ويخرجه إلى حيز (الواقع) فعلاً ؛ فقد وصفه شيخنا في بعض مجالسه مع الأخ الدكتور ناصر العُمر بأنه «عبث وجهد ضائعٌ» ، كما في شريط التسجيل المنشور من تلك المجالس ؛ وانظر ما سيأتي (ص٣٨) . (علي) .

ويتلقّنونه ، أو هذا «الفقه» الذي تنبّه إليه ونبّه عليه بعضُ شباب الدُّعاة ! حيث إنّ أنواع الفقه الواجب على المسلمين القيام بها ـ ولو كفائيّاً على الأقلّ ـ أكبرُ من ذلك كلِّه ، وأوسع دائرةً منه ؛ فمِن ذلك مثلاً : «فقه الكتاب» ، و«فقه السُّنَّة» ، و«فقه اللُّغة» ، و«فقه السُّنن الكونية» ، و«فقه الخلاف» ، ونحو ذلك مما يُشبهه .

وهذه الأنواع مِن الفقه ـ بعمومها ـ لا تقلُّ أهميّةً عن نوعي الفقه المشار إليهما قبلُ ، سواءٌ منها الفقه المعروف أو «فقهُ الواقع» الذي نحن بصدد إيضاح القول فيه .

ومع ذلك كلّه ؛ فإنّنا لا نرى من يُنبِّهُ على أنواع الفقه هذه ، أو يشير إليها ! وبخاصّة **«فقه الكتاب والسنّة»** الذي هو رأس هذه الأنواع وأُسُّها ، هذا الفقهُ الذي لو قال أحدٌ بوجوبه عينيّاً لَما أبعد ؛ لعظيم حاجة المسلمين إليه ، وشديد لُزومه لهم ؛ وبالرُّغم من ذلك : فإنّنا لا نسمع من يُدندنُ حوله ، ويُقعِّدُ منهجه ، **ويَشْغَلُ الشبابَ به ، ويُربِّيهم عليه !**

*** نُريدُ (المنهج) لا مُجرَّدَ الكلام :**

نَعَم ؛ كثيرون ـ ولله الحمد ـ الذين يتكلّمون في الكتاب والسنة اليوم ، ويُشيرون إليهما ، **ولكنَّ الواجبَ الذي نريدُهُ** ليس

فقط أُكتوبةً هنا ، أو محاضرةً هناك ، إنّما الذي نريدُهُ جعلُ الكتاب والسنة الإطارَ العامَّ لكلّ صغيرٍ وكبيرٍ ، وأن يكون منهجهما هو الشعارَ والدِّثارَ للدعوة ؛ بَدْءاً وانتهاءً ، وبالتالي أن يكون تفكيرُ المدعوّين مِن الشباب وغيرهم مُؤصَّلاً وَفْقَ هذا المنهج العظيم الذي لا صلاحَ للأُمة إلا به وعليه .

فلا بُدَّ ـ إذاً ـ مِن أن يكون هناك علماءُ في كلّ أنواع الفقه المتقدّمة ـ وبخاصّة «فقه الكتاب والسُّنَّة» ـ ، بضوابط واضحة ، وقواعد مبيَّنةٍ .

* الانقسام حولَ «فقه الواقع» :

ولكنَّنا سمعنا ولاحظنا أنّه قد وقعَ كثيرٌ من الشباب المسلم في (حَيْصَ بيْصَ) نحو هذا النوع من العلم الذي سبقَت الإشارةُ إلى تسميتهم له بـ «فقه الواقع» ، فانقسموا قسمين ، وصاروا ـ وللأسف ـ فريقين ، حيثُ إنّه قد غلا البعضُ بهذا الأمر ، وقصَّر البعضُ الآخرُ فيه !

إذ إنَّك ترى وتسمعُ ممن يُفخِّمون شأنَ «فقه الواقع» ، ويضعونه في مرتبةٍ عليّةٍ فوق مرتبتهِ العلمية الصحيحة ؛ أنّهم يريدون مِن

كلّ عالمٍ بالشرع أن يكون عالماً بما سمَّوهُ «فقه الواقع» !

كما أنّ العكس ـ أيضاً ـ حاصلٌ فيهم ، فقد أوهموا السامعين لهم ، والملتفِّين حولهم أنّ كلّ مَن كان عارفاً بواقع العالم الإسلاميّ هو فقيهٌ في الكتاب والسُّنة ، وعلى منهج السلف الصالح !!

وهذا ليس بلازمٍ كما هو ظاهرٌ .

*** الكمالُ عزيزٌ ؛ فالواجب التعاوُنُ :**

ونحن لا نتصوَّرُ وجودَ إنسانٍ كاملٍ بكُلِّ معنى هذه الكلمة ، أي : أن يكون عالماً بكلّ هذه العلوم التي أشرتُ إليها ، وسبق الكلامُ عليها .

فالواجب إذاً : تعاوُنُ هؤلاء الذين تفرّغوا لمعرفة واقع الأمة الإسلامية وما يُحاك ضدَّها ، مع علماء الكتاب والسُّنّة وعلى نهج سلف الأمة ، فأولئك يقدّمون تصوُّراتهم وأفكارَهم ، **وهؤلاء يُبَيِّنونَ فيها حُكمَ الله سبحانه ، القائمَ على الدليل الصحيح ، والحُجّة النيِّرة .**

أمّا أن يصبح المتكلّم في «فقه الواقع» في أذهان سامعيه واحداً

من العلماء والمفتين ، لا لشيء إلا لأنّه تكلّم بهذا «الفقه» المشار إليه ؛ **فهذا ما لا يُحكم له بوجهٍ مِن الصواب** ؛ إذ يُتَّخَذُ كلامُهُ تُكَأَةً تُرَدُّ بها فتاوى العلماء ، وتُنقَضُ بها اجتهاداتهم وأحكامهم .

* **خطأُ (العالِم) لا يُسقطُهُ :**

ومِن المهم بيانُه في هذا المقام : أنّه قد يُخطئ عالمٌ ما في حُكمه على مسألةٍ معينةٍ مِن تلك المسائل الواقعية ، وهذا أمرٌ (حَدَث) ويحدث ، ولكنْ . . . هل هذا يُسقط هذا العالمَ أو ذاكَ ، ويجعلُ المخالفينَ له يصفونَه بكلماتٍ نابيةٍ **لا يجوزُ إيرادُها عليه** ، كأنْ يُقال مثلاً ـ وقد قيل ـ : هذا فقيهُ شرعٍ وليسَ فقيه واقعٍ ؟!!

فهذه قسمةٌ تُخالف الشرعَ والواقع !

فكلامُهُم المشار إليه كُلُّه كأنّه يوجبُ على علماء الكتاب والسنة أن يكونوا ـ أيضاً ـ عارفين بالاقتصاد والاجتماع والسياسة والنُّظُم العسكرية وطُرُق استعمال الأسلحة الحديثة ، ونحوِ هذا وذاك !!

ولستُ أظنُّ أنّ هناك إنساناً عاقلاً يتصوّر اجتماعَ هذه العلوم والمعارف كلِّها في صَدرِ إنسانٍ ، مهما كان عالماً أو (كاملاً) !

* خطأُ (الجَهل) بالواقع :

وقد سمعنا أيضاً عن أُناسٍ يقولون : «ما يَهُمُّنا نحن أن نعرفَ هذا الواقع» ! فهذا ـ إن وَقَعَ ـ خطأٌ أيضاً .

فالعَدلُ أن يُقال : لا بُدَّ لِكُلِّ علمٍ من العلوم أن يكون هناك عارفون به مُتخصِّصون فيه ، يتعاونون فيما بينهم **تعاوُناً إسلاميّاً أخويّاً صادقاً ، لا حزبيّةَ فيه ولا عصبيّة** ؛ ليُحقّقوا مصلحةَ الأمة الإسلامية ، وإقامة ما يَنشدُهُ كلُّ مسلم من إيجاد المجتمع الإسلاميّ ، وتطبيق شرع الله في أرضه .

فكلُّ تلك العلوم واجبةٌ وجوباً كفائيّاً على مجموع علماء المسلمين ، وليس مِن الواجب في شيءٍ أن يجمعها فردٌ واحدٌ ، فضلاً عن استحالة ذلك واقعاً !

فمثلاً : لا يجوز للطبيب أن يُسوِّغَ ـ أحياناً ـ القيامَ بعملية جراحية معيّنة إلا إذا استعان برأي العالم الفقيه بكتاب الله سبحانه ، وبسُنَّة رسول الله ﷺ ، وعلى منهج السلف الصالح ؛ إذ من الصعب ـ إن لم نَقُل : من المستحيل ـ أن يكون الطبيبُ المتمكِّنُ في علمه عارفاً ـ أيضاً ـ بالكتاب والسُّنَّة ، متمكِّناً من فقههما ، ومعرفة أحكامهما .

* **التأكيدُ على وجوب التَّعاوُن :**

لذلك ؛ لا بُدَّ من التعاوُن ، عَمَلاً بقول ربِّ العالمين في كتابه الكريم : ﴿وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة/٢] ، **وبذلك تتحقَّقُ المصالحُ المرجوَّةُ للأُمّة الإسلاميَّةِ .**

وهذه المسألةُ من البَداهة بمكانٍ ؛ فإنّ المسلم لا يكاد يتصوّرُ عالماً فقيهاً في الكتاب والسنّة ، ثم هو مع ذلك طبيبٌ خِرِّيتٌ ، ثم هو مع ذلك يعرف ـ كما يقولون اليوم ـ «فقهَ الواقع» !! إذ بقَدْر اشتغاله بهذا العلم ينشغلُ عن ذاك العلم ، وبقَدْر اهتمامه بذاك العلم ينصرفُ عن هذا العلم . . . وهكذا . . .

ولا يكونَ الكمالُ ـ كما ذكرتُ آنفاً ـ إلا بتعاوُن هؤلاء جميعاً ـ كلٌّ في اختصاصه ـ مع الآخرين ، وبذلك ـ وبه فقط ـ تتحقّقُ المقاصد الشرعية لكلّ المسلمين ، وينجون من الخسران المبين ، كما قال ربُّ العالمين : ﴿والعصرِ . إنّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ . إلا الذينَ آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ وتواصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بالصَّبْرِ﴾ .

*** الغُلُوُّ فيما لا بُدَّ منه :**

لكنَّ الذي لاحظناهُ ونلاحظُهُ : أنّ للعواطف الحماسية الجامحة التي لا حدودَ لها : آثاراً سلبيّةً مُتعدِّدةً ، منها **الغُلُوُّ فيما لا بُدَّ منه** ؛ إذ الواجبُ الذي لا بُدَّ منه يُقسَم إلى قسمين :

الأوَّل : الفرضُ العينيُّ ، وهذا يجبُ على كُلِّ مسلمٍ .

الثّاني : الفرضُ الكفائيُّ ، وهو ما إذا قام به البعضُ سَقَطَ عن الباقين .

فلا يجوزُ أن نجعلَ الفرضَ الكفائيَّ كالفرض العينيِّ ؛ متساويَيْنِ في الحُكم .

ولو أنّنا قلنا ـ تنزُّلاً ـ : يجبُ على طُلاب العلم الصّاعدين أن يكونوا عارفين بفقه الواقع ؛ فلا يُمكن أن نُطلقَ هذا الكلام في علماء المسلمين الكبار ، فضلاً عن أن نُلزِمَ طلابَ العلم بوجوب معرفةِ الواقع ، وما يترتّبُ على هذه المعرفة مِن فقهٍ يُعطي لكلِّ حالةٍ حُكْمَها .

* **لا يُنكَرُ (فقه الواقع) :**

وكـذلك لا يجـوز ـ والحـالةُ هذه ـ أن يُنكِرَ أحـدٌ مِن طلاب العلم ضـرورة هذا الفقه بالواقع ؛ لأنّه لا يمكن الوصول إلى تحقيق الضّالّة المنشودة بإجماع المسلمين ؛ ألا وهي التخلُّص من الاستعمار الكافر للبلاد الإسلامية ـ أو على الأقلّ لبعضها ـ ؛ إلا بأن نعرفَ ما يتآمرونَ به ، أو ما يجتمعون عليه ؛ لنحذَرَهُ ونُحذِّرَ منه ؛ حتى لا يستمرَّ استعمارهم واستعبادُهم للعالم الإسلاميِّ ، وهذا لا يكون جزءٌ كبيرٌ منه إلا بتربية الشباب المسلم تربيةً عقائديةً علميةً منهجيةً قائمةً على أساس **التصفية** للإسلام من الشوائب التي عَلَقت به ؛ ومبنيَّةً على **قاعدة التربية** على هذا الإسلام المصفَّى ، كما أنزله الله على قلب رسوله ﷺ .

* **بين العلماء والحكّام :**

ومِن الأمور التي ينبغي ذِكرُها هنا : أنَّ الذين يستطيعون حمل الأُمّة على ما يجب عليها وجوباً عينيّاً أو كِفائيّاً ؛ ليسوا هم **الخطباء المتحمّسين ، ولا الفقهاء النظريِّين ؛** وإنّما هم الحُكّام الذين بيدهم الأمر والتنفيذُ ، والحلُّ والعقدُ ، وليسوا ـ أيضاً ـ

أولئك المتحمسين من الشباب ، أو العاطفيِّين من الدُّعاةِ . . . الذين ليس بيدهم حلٌّ ولا رَبطٌ !!

فعلى الخُطباء العلماء والدعاة أن يُرَبُّوا المسلمين على قَبول حُكم الإسلام ، والاستسلام له ، ثمّ دعوة الحكام ـ بالتي هي أحسن للتي هي أقوم ـ إلى أن يستعينوا بالفقهاء والعلماء[1] على اختلاف علمهم وتنوُّع فقههم ؛ فقه الكتاب والسنة ، فقه اللُّغة ، فقه السُّنن الكونية ، فقه الواقع . . . وغير ذلك مِن مُهمَّات ؛ **إعمالاً** منهم للمبدإ الإسلاميِّ العظيم ؛ مبدإ الشورى ، ويومئذٍ تستقيم الأمور ، ويفرحُ المؤمنون بنصر الله ؛ **﴿فإنْ أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾** [الشورى/٤٨] !

* **عِلَّةُ ذُلّ المسلمين :**

ولا بُدَّ هنا مِن بيان أمرٍ مهمٍّ جدّاً يَغفُلُ عنه الكثيرون ، فأقول :

ليست علّةُ بقاء المسلمين فيما هم عليه من الذّلِّ واستعباد الكفار ـ حتى اليهود ـ لبعض الدول الإسلامية : هي جهلَ

(١) فهم للمسلمين ـ جماعاتٍ وأفراداً ـ ضياءُ السبيل ومنارُ الطريق ؛ فبهم يهتدون ، وعلى نهجهم يسيرون . (علي) .

الكثيرين من أهل العلم بفقه الواقع ، أو عدم الوقوف على مخطّطات الكفار ومؤامراتهم ، كما يُتوهَّم !

* مِن أغلاطِ بعضِ (الدُّعاة) :

ولذلك فأنا أرى أنّ الاهتمام بفقه الواقع اهتماماً زائداً بحيث يكون منهجاً للدّعاة والشباب ، يُربُّون ويتربَّوْنَ عليه ، ظانِّينَ أنّه سبيلُ النجاة : خطأٌ ظاهرٌ ، وغَلَطٌ واضحٌ !

والأمرُ الذي لا يختلفُ فيه ـ من الفقهاء ـ اثنان ، ولا ينتطحُ فيه عنزان : أنّ العلة الأساسية للذُّلِّ الذي حَطَّ في المسلمين رحاله هي :

أولاً : جهلُ المسلمين بالإسلامِ الذي أنزله الله على قلب نبيّنا عليه الصلاة والسلام .

وثانياً : أنّ كثيراً من المسلمين الذي يعرفون أحكام الإسلام - في بعض شؤونهم - لا يعملون بها ، ويُهملونها ، ويُهدرون العمل بها .

* التصفية والتربية :

فإذاً : مفتاحُ عودة مجد الإسلام : تطبيق العلم النافع ، والقيام بالعمل الصالح ، وهو أمرٌ جليلٌ لا يمكن للمسلمين أن

يَصلوا إليه إلا بإعمال منهج التصفية والتربية ، وهما واجبان مُهمّان عظيمان[1] :

وأردتُ بالأوّل منهما أموراً :

الأوّل : تصفيةُ العقيدة الإسلامية مما هو غريبٌ عنها ، كالشرك ، وجَحْد الصفات الإلهية ، وتأويلها ، وردّ الأحاديث الصحيحة لتعلُّقها بالعقيدة ونحوها .

الثاني : تصفيةُ الفقه الإسلاميِّ من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسُّنَّة ، وتحريرُ العقول من آصار التقليد ، وظُلمات التعصُّب .

الثالث : تصفيةُ كتب التفسير ، والفقه ، والرقائق ، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والإسرائيليّات والمنكرات .

وأما الواجب الآخَرُ : فأُريدُ به تربيةَ الجيل الناشئ على هذا الإسلام المُصفّى مِن كلِّ ما ذكرنا ؛ تربيةً إسلاميةً صحيحةً منذ

---

(١) وعلى هذين الواجبين اللّذين يدندن حولهما شيخُنا دائماً ؛ بنيتُ رسالتي «التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية» ، وهي مطبوعة منذ سنوات (علي) .

نعومة أظفاره ، دون أيِّ تأثُّرٍ بالتربية الغربية الكافرة .

ومما لا ريب فيه ؛ أنّ تحقيق هذين الواجبين يتطلَّب جهوداً جبارة متعاونةً مخلصةً بين المسلمين كافّة : جماعاتٍ وأفراداً ؛ من الذين يهمُّهم حقّاً إقامةُ المجتمع الإسلاميّ المنشود ، كلٌّ في مجاله واختصاصه .

* **الإسلامُ الصَّحيح :**

فلا بُدَّ ـ إذاً ـ مِن أن يُعنى العلماء – العارفون بأحكام الإسلام الصحيح – بدعوة المسلمين إلى هذا الإسلام الصحيح ، وتَفهيمهم إيَّاهُ ، ثم تربيتهم عليه ، كمثل ما قال اللهُ تعالى :

﴿ولكنْ كونوا ربّانيِّين بما كنتم تُعلِّمونَ الكتابَ وبما كُنتم تدرُسون﴾ [آل عمران/٧٩] .

هذا هو الحلُّ الوحيدُ الذي جاءت به نصوصُ الكتاب والسُّنّة ، كما في قوله تعالى : ﴿إنْ تنصُروا اللهَ ينصُرْكُمْ ويُثبِّتْ أقدامَكُم﴾ [محمد/٧] ، وغيره كثير .

* كيف يأتي نَصرُ الله؟

فَمِن المتفق عليه دون خلاف ـ ولله الحمد ـ بين المسلمين أنّ معنى : ﴿إنْ تنصُروا الله﴾ ؛ أي : إنْ عملتم بما أمركم به : نصرَكم الله على أعدائكم .

ومِن أهمِّ النُّصوص المؤيِّدةِ لهذا المعنى - مما يُناسبُ واقعنا الذي نعيشُه تماماً ، حيثُ وَصْفُ الدَّاء والعلاج معاً - ؛ قولُه ﷺ : «إذا تبايعتم بالعِينة ، وأخذتم أذنابَ البقر ، ورضيتُم بالزَّرع ، وتركتُم الجهادَ ؛ سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلاً لا ينزِعُهُ عنكم حتى ترجعوا إلى دينكُم»[1] .

* سبب (مَرَض) المسلمين :

فإذاً : ليسَ مَرَضُ المسلمين اليومَ هو جهلَهم بعلمٍ مُعيَّنٍ ، أقولُ هذا معترفاً بأنّ كلَّ علم ينفع المسلمين فهو واجبٌ بقَدْرِهِ ، ولكن ليسَ سببُ الذُّلِّ الذي لَحِقَ بالمسلمين جهلَهم بهذا الفقه المسمَّى اليوم «فقه الواقع» ! **وإنّما العلّةُ** ـ كما جاء في هذا الحديث الصحيح ـ **هي إهمالُهم العَمَلَ بأحكام الدِّين ؛ كتاباً وسُنَّةً** .

---

(١) وهو مُخرَّجٌ في كتابي «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم : ١١) .

فقوله ﷺ : «إذا تبايعتم بالعِينة» ؛ إشارةٌ إلى نوعٍ من المعاملات الرِّبَويّة ذات التَّحايُل على الشرع .

وقوله ﷺ : «وأخذتم أذناب البقر» ؛ إشارةٌ إلى الاهتمام بأُمور الدُّنيا والرُّكون إليها ، وعدم الاهتمام بالشريعة وأحكامها .

ومِثلُهُ قولُه ﷺ : «ورضيتُم بالزَّرع» .

وقولُه ﷺ : «وتركتُم الجهادَ» ؛ هو ثمرةُ الخلود إلى الدُّنيا ، كما في قوله تعالى : ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا ما لَكُمْ إذا قيلَ لكمُ انفِرُوا في سبيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ أَرَضيتُم بالحياةِ الدُّنيا مِن الآخرةِ فما متاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخرةِ إلا قليلٌ﴾ [التوبة/٣٨] .

وقوله ﷺ : « . . . سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلاً لا ينزِعُهُ عنكم حتى ترجعوا إلى دينكُم» ؛ فيه إشارةٌ صريحةٌ إلى أنَّ الدِّين الذي يجب الرُّجوع إليه : هو الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ في أكثرَ مِن آيةٍ كريمةٍ ، كمثل قوله تعالى : ﴿إنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ﴾ [آل عمران/١٩] ، وقوله سبحانه : ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتمَمْتُ عليكُم نعمتي ورَضِيتُ لكمُ الإسلامَ ديناً﴾ [المائدة/٣] .

وفي تعليق الإمام مالكٍ المشهور على هذه الآية ما يُبيِّنُ المرادَ ،

حيثُ قال ـ رحمه الله ـ : «وما لم يَكُن يومئذٍ ديناً ؛ فلا يكونُ اليومَ ديناً ، **ولا يصلُحُ آخِرُ هذه الأُمَّة إلا بما صَلَحَ به أوَّلُها**» .

* الغُلُوُّ في (فقه الواقع) :

وأمّا هؤلاء الدُّعاةُ الذين يُدندنونَ اليومَ حولَ «فقه الواقع» ، ويُفخِّمونَ أمرَهُ ، ويرفعونَ شأنَهُ ـ وهذا حقٌّ في الأصلِ ـ ؛ فإنّهم **يُغالونَ** فيه ؛ حيث يَفهمون ويُفهِّمون ـ ربّما مِن غير قَصْدٍ ـ أنّه يجب على كلّ عالم – بل على كلّ طالب علم – أن يكون عارفاً بهذا الفقه !!

مع أنّ كثيراً مِن هؤلاء الدُّعاة ؛ يعلمون جيداً أنّ هذا الدّين الذي ارتضاهُ ربُّنا عز وجل في أُمّة الإسلام قد تغيَّرَت مفاهيمُهُ منذ قديم الزمان ، حتى فيما يتعلّق بالعقيدة ، فنجدُ أُناساً كثيرين جدّاً يشهدون أن «لا إله إلا الله» ، ويقومون بسائر الأركان ، بل قد يتعبَّدونَ بنوافلَ مِن العبادات ، كقيام الليل ، والصدقات ، ونحو ذلك ، ولكنّهم انحرفوا عن مثل قوله تعالى : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد/١٩] .

*** واقعُ (الدُّعاة) مع «فقه الواقع» :**

ونحن نعلم أنَّ كثيراً مِن أولئك (الدُّعاة) يشاركوننا في معرفة سببِ سوءِ الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم ؛ ألا وهو بُعدهم عن الفهم الصحيح للإسلام فيما يجب على كلّ فردٍ ، وليسَ فيما يجب على بعض الأفراد فقط ، فالواجبُ : **تصحيحُ العقيدةِ ، وتصحيحُ العبادةِ ، وتصحيحُ السُّلوكِ .**

أينَ مِن هذه الأُمّة مَن قام بهذا الواجب العينيِّ وليس الواجبَ الكفائيَّ ؟! إذ الواجبُ الكفائيُّ يأتي بعدَ الواجب العينيِّ ، وليس قبلَه !

ولذلكَ : فإنَّ الانشغالَ والاهتمامَ بدعوةِ الخاصَّةِ مِن الأُمَّةِ الإسلاميةِ إلى العناية بواجبٍ كفائيٍّ - ألا وهو «فقه الواقع» - ، وتقليل الاهتمام بالفقه الواجب عَيْنيّاً على كلِّ مسلم ـ وهو «فقهُ الكتاب والسُّنَّة» ـ بما أشرتُ إليه : هو تفريطٌ وتضييعٌ[1] لِمَا يجبُ وُجوباً مؤكَّداً على كُلِّ فردٍ مِن أفراد الأُمَّة المسلمة ، وغُلُوٌّ في رَفع شأنِ أمرٍ لا يَعدو كونه ـ على حقيقته ـ واجباً كفائيّاً !

(١) انظر ما سبق (ص ٣٠) .

* القولُ الوَسَطُ الحقُّ في «فقه الواقع» :

فالأمرُ ـ إذاً ـ كما قال الله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة/١٤٣] ؛ ففقهُ الواقع بمعناهُ الشرعيِّ الصَّحيح هو واجبٌ بلا شكّ ، ولكنْ وجوباً كفائيّاً ؛ إذا قام به بعضُ العلماء سَقَطَ عن سائر العلماء ، فَضلاً عن طلاب العلم ، فضلاً عن عامّة المسلمين !

فلذلك يجب الاعتدالُ بدعوة المسلمين إلى معرفة «فقه الواقع» ، وعدمُ إغراقهم بأخبار السِّياسة ، وتحليلات مُفكِّري الغرب ، وإنما الواجبُ ـ دائماً وأبداً ـ الدَّندنةُ حول تصفية الإسلام مما عَلَقَ به مِن شوائبَ ، ثم تربيةُ المسلمين ـ جماعاتٍ وأفراداً ـ على هذا الإسلام المُصَفَّى ، ورَبطُهم بمنهج الدعوة الأصيل : الكتاب والسُّنَّة بفَهم سَلَف الأُمَّة .

* وجوبُ المحبَّة والولاء :

ومِن الواجب على العلماء ـ أيضاً ـ وعلى مختلف اختصاصاتهم ـ فضلاً عن بقيّة الأمة ـ أن يكونوا ممتثلين قولَ نبيّهم ﷺ : «مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتراحُمهم كمَثَل الجَسَد الواحد . . .»(١) .

---

(١) مخرَّج في «الصحيحة» (١٠٨٣) .

ولا يتحقّقُ هذا المثلُ النبويُّ العظيمُ بمعناه الرائع الجميل إلا بتعاوُن العلماء مع أفراد المجتمع ، تعليماً وتعلُّماً ، دعوةً وتطبيقاً .

فيتعاوَنُ ـ إذاً ـ مَن عرفوا فقهَ الشرع ـ بأدلَّته وأحكامه ـ مع مَن عرفوا فقه الواقع ـ بصورته الصحيحة التطبيقية لا النّظريَّة ـ ؛ فأولئك يَمُدُّونَ هؤلاء بما عندهم مِن علمٍ وفقهٍ ، وهؤلاء يُوقِفون أولئك على ما تبيّن لهم ؛ ليَحذَروا ويُحذِّروا .

ومِن هذا التعاوُن الصادق بين العلماء والدعاة على تنوُّع اختصاصاتهم ؛ يمكن تحقيقُ ما ينشدُه كُلُّ مسلم غيور .

* خَطَرُ الطَّعن بالعُلماءِ :

أما الطّعنُ في بعض العلماء أو طلاب العلم ، ونبزُهم بجهل فقه الواقع ، ورَميُهم بما يُستَحيى مِن إيراده : فهذا خطأٌ وغَلَطٌ ظاهرٌ لا يجوز استمراره ؛ لأنه من التباغُض الذي جاءت الأحاديث الكثيرة لتنهى المسلمين عنه ، بل لتأمرَهم بضدِّه من التحابِّ والتلاقي والتَّعاوُن .

*** كيف نُعالج الأخطاء؟**

وأمَّا الواجبُ على أيِّ مسلم رأى أمراً أخطأ فيه أحدُ العلماء أو (الدُّعاة) : فهو أن يقوم بتذكيره ونُصحه :

فإنْ كان الخطأُ في مكانٍ محصور : كان التنبيه في ذلك المكان نفسه دون إعلانٍ أو إشهارٍ ، وبالتي هي أحسنُ للتي هي أقوم .

وإنْ كان الخطأُ معلَناً مشهوراً ؛ فلا بأس مِن التنبيه والبيان لهذا الخطأ ، **وعلى طريقة الإعلان** ، ولكن كما قال الله تعالى : ﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلْهم بالتي هي أحسَنُ﴾ [النحل/١٢٥] .

ومِن المهمِّ بيانُه : أنّ التخطئة المشارَ إليها هنا ليست التخطئة المبنيَّة على حماسة الشباب وعواطفِهم ، دونما علم أو بيِّنة ! لا ؛ وإنَّما المراد : التخطئةُ القائمةُ على الحُجَّة والبيان ، والدليل والبرهان[1] .

وهذه التخطئةُ ـ بهذه الصورة اللَّيِّنة الحكيمة ـ لا تكون إلا

(١) فَلْيُتأمَّل هذا الكلام ولْيُتَدَبَّر . (علي) .

بين العلمـاء المخلصين وطلاب العلم الناصحين ؛ الذين هم في علمهم ودعوتهم على كلمةٍ سواء ، مبنيَّةٍ على الكتاب والسُّنَّة ؛ **وعلى نهج سلف الأُمَّة** .

أمَّا إذا كان مَن يُرادُ تخطئتُه مِن المنحرفين عن هذا المنهج الرّبّاني ؛ فله ـ حينئذٍ ـ معاملةٌ خاصّةٌ ، وأُسلوبٌ خاصٌّ يَليقُ بقَدْر انحرافه وبُعده عن جادَّة الحقِّ والصَّواب .

*** خَطَرُ (السِّياسة) المعاصرَة :**

ولا بُدَّ ـ أخيراً ـ مِن تعريف المسلمين بأمرٍ مُهمٍّ جداً في هذا الباب ، فأقول :

يجب ألا يدفعَنا الرِّضا بفقه الواقع ـ بصورته الشرعية ـ ، أو الانشغالُ به إلى ولوج أبواب السياسة المعاصرة **الظّالم أهلُها** ، مغترِّين بكلمات السَّاسة ، مُردِّدين لأساليبهم ، غارقين بطرائقهم .

وإنَّما الواجبُ هو السيرُ على السياسة الشرعية ، ألا وهي **«رعايةُ شؤون الأُمَّة»** . ولا تكونُ هذه الرِّعايةُ إلا في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، وعلى منهج السلف الصالح ، وبيد أُولي الأمر

من العلماء العاملين ، والأمراء العادلين ؛ فإنّ الله يَزَعُ بالسُّلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن[1] .

أما تلك السياسة الغربية التي تفتحُ أبوابَها ، وتَغُرُّ أصحابَها : فلا دينَ لها ، وسائرُ مَن انساق خلفها ، أو غرقَ ببحرها : أصابهُ بأسُها ، وعمَّهُ جحيمُها ؛ لأنَّهُ انشغلَ بالفرع قبل الأصل ! ورحم الله مَن قال : «**مَن تعجَّلَ الشيء قبل أوانه : عُوقبَ بحِرْمانه**» .

والله الموفِّق للسَّداد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

---

(١) انظر «الدرّ المنثور» (٤/٩٩) .

فهرس الكتاب